المبحث الخامس

استشهاد سعد بن معاذ ﷺ

عَنْ عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ: أُصِيبَ سَعْدٌ يَوْمَ الخَنْدَقِ رَمَاهُ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ يُقَالُ لَهُ حِبَّانُ بْنُ العَرِقَةِ، وَهُوَ حِبَّانُ بْنُ قَيْسٍ مِنْ بَنِي مَعِيصِ بْنِ عَامِرِ ابْنِ لُؤَيٍّ، رَمَاهُ فِي الأَكْحَلِ، فَضَرَبَ النَّبِيُّ ﷺ خَيْمَةً فِي المَسْجِدِ لِيَعُودَهُ مِنْ قَرِيبٍ، فَلَمَّا رَجَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الخَنْدَقِ وَضَعَ السِّلَاحَ وَاغْتَسَلَ، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ ﵇ وَهُوَ يَنْفُضُ رَأْسَهُ مِنَ الغُبَارِ، فَقَالَ: **قَدْ وَضَعْتَ السِّلَاحَ وَاللهِ مَا وَضَعْتُهُ اخْرُجْ إِلَيْهِمْ**، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**فَأَيْنَ؟**»، فَأَشَارَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ، فَأَتَاهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَنَزَلُوا عَلَى حُكْمِهِ، فَرَدَّ الحُكْمَ إِلَى سَعْدٍ ﷺ، قَالَ: **فَإِنِّي أَحْكُمُ فِيهِمْ أَنْ تُقْتَلَ المُقَاتِلَةُ، وَأَنْ تُسْبَى النِّسَاءُ وَالذُّرِّيَّةُ، وَأَنْ تُقْسَمَ أَمْوَالُهُمْ**.

قَالَ هِشَامٌ: فَأَخْبَرَنِي أَبِي عَنْ عَائِشَةَ ﵂ أَنَّ سَعْدًا ﷺ [تَحَجَّرَ كَلْمُهُ لِلبُرْءِ (أي: يبس جرحه، وكاد أن يبرأ)]، فَقَالَ: «**اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أُجَاهِدَهُمْ فِيكَ مِنْ قَوْمٍ كَذَّبُوا رَسُولَكَ ﷺ وَأَخْرَجُوهُ، اللَّهُمَّ فَإِنِّي أَظُنُّ أَنَّكَ قَدْ وَضَعْتَ الحَرْبَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ، فَإِنْ كَانَ بَقِيَ مِنْ حَرْبِ قُرَيْشٍ شَيْءٌ فَأَبْقِنِي لَهُ حَتَّى أُجَاهِدَهُمْ فِيكَ، وَإِنْ كُنْتَ وَضَعْتَ الحَرْبَ فَافْجُرْهَا، وَاجْعَلْ مَوْتَتِي فِيهَا**»، فَانْفَجَرَتْ مِنْ لَبَّتِهِ (هي موضع القلادة من الصدر، وكان موضع الجرح ورم حتى اتصل الورم إلى صدره، فانفجر من ثَمَّ)، فَلَمْ يَرُعْهُمْ (يفزعهم) وَفِي المَسْجِدِ [مَعَهُ] خَيْمَةٌ مِنْ بَنِي غِفَارٍ إِلَّا الدَّمُ يَسِيلُ إِلَيْهِمْ، فَقَالُوا: يَا أَهْلَ الخَيْمَةِ! مَا هَذَا الَّذِي يَأْتِينَا مِنْ قِبَلِكُمْ؟ فَإِذَا سَعْدٌ ﷺ يَغْذُو (يسيل) جُرْحُهُ دَمًا فَمَاتَ مِنْهَا ﷺ.

وزاد مسلم: وحَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ سُلَيْمَانَ الْكُوفِيُّ، حَدَّثَنَا عَبْدَةُ، عَنْ هِشَامٍ بِهَذَا الْإِسْنَادِ نَحْوَهُ، غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: فَانْفَجَرَ مِنْ لَيْلَتِهِ، فَمَا زَالَ يَسِيلُ حَتَّى مَاتَ، وَزَادَ فِي الْحَدِيثِ، قَالَ: فَذَاكَ حِينَ يَقُولُ الشَّاعِرُ:

أَلَا يَا سَعْدُ سَعْدَ بَنِي مُعَاذٍ ... فَمَا فَعَلَتْ قُرَيْظَةُ وَالنَّضِيرُ

لَعَمْرُكَ إِنَّ سَعْدَ بَنِي مُعَاذٍ ... غَدَاةَ تَحَمَّلُوا لَهُوَ الصَّبُورُ

تَرَكْتُمْ قِدْرَكُمْ لَا شَيْءَ فِيهَا ... وَقِدْرُ الْقَوْمِ حَامِيَةٌ تَفُورُ (١)

وَقَدْ قَالَ الْكَرِيمُ أَبُو حُبَابٍ ... أَقِيمُوا قَيْنُقَاعُ وَلَا تَسِيرُوا

وَقَدْ كَانُوا بِبَلْدَتِهِمْ ثِقَالًا ... كَمَا ثَقُلَتْ بِمَيْطَانَ الصُّخُورُ (٢)

[البخاري في المغازي (٤١٢٢)، وفي الصلاة (٤٦٣) مختصرًا، ومسلم في الجهاد والسير (١٧٦٩)].

---

(١) تَرَكْتُمْ قِدْرَكُمْ: هذا مثل لعدم الناصر وأراد بقوله تركتم قدركم الأوس لقلة حلفائهم، فإن حلفاءهم قريظة وقد قتلوا. وأراد بقوله: وَقِدْرُ الْقَوْمِ حَامِيَةٌ تَفُورُ: الخزرج لشفاعتهم في حلفائهم بني قينقاع حتى من عليهم النبي ﷺ وتركهم لعبد الله بن أبي ابن سلول، وهو أبو حباب المذكور في البيت التالي.

(٢) وَقَدْ كَانُوا بِبَلْدَتِهِمْ ثِقَالًا: أي بنو قريظة، وثقالًا أي راسخين من كثرة ما لهم من القوة والنجدة والمال، كما رسخت الصخور وهي الحجارة الكبار بتلك البلدة. مَيْطَانَ: هو اسم جبل من أرض الحجاز في ديار بني مزينة، وهو بفتح الميم على المشهور، وقال أبو عبيد البكري وجماعة هو بكسرها، وإنما قصد هذا الشاعر تحريض سعد على استبقاء بني قريظة حلفائه، ويلومه على حكمه فيهم، ويذكره بفعل عبد الله بن أبي ويمدحه بشفاعته في حلفائهم بني قينقاع.

وعَنْ عُرْوَةَ ـ يعني ابن الزبير ـ قَالَ: وَزَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ بَرِئَ كَلْمُ سَعْدٍ ﷺ، وَتَحَجَّرَ بِالبُرْءِ، ثُمَّ إِنَّهُ دَعَا، فَقَالَ: **اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الأَرْضِ قَوْمٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ قَوْمٍ كَذَّبُوا رَسُولَكَ، وَأَخْرَجُوهُ، وَإِنِّي أَظُنُّ أَنْ قَدْ وَضَعْتَ الحَرْبَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ، فَإِنْ كَانَ بَقِيَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ قِتَالٌ، فَأَبْقِنِي أُقَاتِلُهُمْ فِيكَ، وَإِنْ كُنْتَ قَدْ وَضَعْتَ الحَرْبَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ، فافْجُرْ هَذَا المَكَانَ، وَاجْعَلْ مَوْتِي فِيهِ**، فَفَجَرَهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَإِنَّهُ لَرَاقِدٌ بَيْنَ ظَهْرَيِ اللَّيْلِ، فَمَا دَرَوْا بِهِ حَتَّى مَاتَ، وَمَا رَقَأَ الكَلْمُ حَتَّى مَاتَ ﷺ.

[مجمع الزوائد ٦/ ٢٠١ في المغازي والسير (١٠١٥٦)، وقال الهيثمي: قلت: في الصحيح بعضه عن عائشة متصل الإسناد، رواه الطبراني [المعجم الكبير ٦/ ٧٠٨٥ رقم ٥٣٢٧] مرسلًا وفيه ابن لهيعة وحديثه حسن وفيه ضعف. وقال محقق المعجم الكبير: قلت: وهذا من الضعيف].

وقَالَ الوَاقِدِيُّ: وَكَانَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ ﷺ فِي اللَّيْلَةِ الَّتِي فِي صُبْحِهَا نَزَلَتْ قُرَيْظَةُ عَلَى حُكْمِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَدْ دَعَا، فَقَالَ: «**اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ أَبْقَيْتَ مِنْ حَرْبِ قُرَيْشٍ شَيْئًا فَأَبْقِنِي لَهَا، فَإِنَّهُ لا قَوْمَ أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ أُقَاتِلَ مِنْ قَوْمٍ كَذَّبُوا رَسُولَ اللهِ، وَآذَوْهُ، وَأَخْرَجُوهُ، وَإِنْ كَانَتْ الحَرْبُ قَدْ وَضَعَتْ أَوْزَارَهَا عَنَّا وَعَنْهُمْ، فَاجْعَلْهُ لِي شَهَادَةً، وَلا تُمِتْنِي حَتَّى تُقِرَّ عَيْنِي مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ**»، فَأَقَرَّ اللهُ عَيْنَهُ مِنْهُمْ. [المغازي للواقدي ٢/ ٥١٢].

وعَنْ عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ:... ثُمَّ دَعَا [اللهَ] سَعْدٌ ﷺ قَالَ: «**اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ أَبْقَيْتَ عَلَى نَبِيِّكَ ﷺ مِنْ حَرْبِ قُرَيْشٍ شَيْئًا فَأَبْقِنِي لَهَا، وَإِنْ كُنْتَ قَطَعْتَ الحَرْبَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ فَاقْبِضْنِي إِلَيْكَ**»، قَالَتْ: فَانْفَجَرَ كَلْمُهُ، وَكَانَ قَدْ بَرِئَ حَتَّى مَا يُرَى مِنْهُ إِلَّا مِثْلُ الخُرْصِ، [فَرَجَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ] وَرَجَعَ (أي سعدٌ ﷺ) إِلَى قُبَّتِهِ الَّتِي ضَرَبَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَحَضَرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، قَالَتْ: فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنِّي لَأَعْرِفُ بُكَاءَ عُمَرَ مِنْ بُكَاءِ أَبِي بَكْرٍ وَأَنَا فِي حُجْرَتِي، وَكَانُوا كَمَا قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩].

قَالَ عَلْقَمَةُ: قُلْتُ: أَيْ أُمَّهْ! فَكَيْفَ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَصْنَعُ؟

قَالَتْ: كَانَتْ عَيْنُهُ لَا تَدْمَعُ عَلَى أَحَدٍ وَلَكِنَّهُ، كَانَ إِذَا وَجِدَ فَإِنَّمَا هُوَ آخِذٌ بِلِحْيَتِهِ».

[مسند أحمد ٤٢/ ٢٦ رقم ٢٥٠٩٧، وقال الشيخ الأرناؤوط: بعضه صحيح، وجزء منه حسن وهذا إسناد فيه ضعف عمرو بن علقمة لم يرو عنه غير ابنه محمد، مجمع الزوائد ٦/ ١٩٩-٢٠١ في المغازي والسير (١٠١٥٥)، وقال الهيثمي: قلت: في الصحيح بعضه، رواه أحمد وفيه محمد بن عمرو بن علقمة وهو حسن الحديث، وبقية رجاله ثقات، والمصنف لابن أبي شيبة ٢٠/ ٣٦٨-٣٧١ في المغازي (٣٧٩٥١)].

قَالَ الوَاقِدِيُّ: لَمَّا حَكَمَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ ﷺ فِي بَنِي قُرَيْظَةَ رَجَعَ إِلَى خَيْمَةِ كُعَيْبَةَ بِنْتِ سَعْدٍ الأَسْلَمِيَّةِ وَكَانَ رَمَاهُ حِبَّانُ بْنُ العَرِقَةِ ـ وَيُقَالُ: أَبُو أُسَامَةَ الجُشَمِيُّ ـ فَقَطَعَ أَكْحَلَهُ، فَكَوَاهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالنَّارِ، وَانْتَفَخَتْ يَدُهُ فَتَرَكَهُ فَسَالَ الدَّمُ، فَحَسَمَهُ أُخْرَى فَانْتَفَخَتْ يَدُهُ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ قَالَ: **اللَّهُمَّ رَبَّ**

السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَالأَرَضِينَ السَّبْعِ، فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي النَّاسِ قَوْمٌ أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أُقَاتِلَ مِنْ قَوْمٍ كَذَّبُوا رَسُولَكَ، وَأَخْرَجُوهُ مِنْ قُرَيْشٍ، وَإِنِّي أَظُنُّ أَنْ قَدْ وُضِعَتْ الحَرْبُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ، وَإِنْ كَانَ بَقِيَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ فَأَبْقِنِي أُقَاتِلُهُمْ فِيكَ، وَإِنْ كُنْتَ قَدْ وَضَعْتَ الحَرْبَ فَافْجُرْ هَذَا الكَلْمَ، وَاجْعَل مَوْتِي فِيهِ، فَقَدْ أَقْرَرْتَ عَيْنَيَّ مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ لِعَدَاوَتِهِمْ لَكَ وَلِنَبِيِّكَ وَلأَوْلِيَائِكَ.

فَفَجَرَهُ اللهُ وَإِنَّهُ لَرَاقِدٌ بَيْنَ ظَهْرَيْ اللَّيْلِ وَمَا يُدْرَى بِهِ.

وَدَخَلَ عَلَيْهِ رَسُولُ الله ﷺ يَعُودُهُ فَأَتَاهُ وَهُوَ يَسُوقُ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَوَجَدُوهُ قَدْ سُجِّيَ بِمُلاءَةٍ بَيْضَاءَ، وَكَانَ سَعْدٌ ﷺ رَجُلًا أَبْيَضَ طَوِيلًا، فَجَلَسَ رَسُولُ الله ﷺ عِنْدَ رَأْسِهِ، وَجَعَلَ رَأْسَهُ فِي حِجْرِهِ، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنَّ سَعْدًا قَدْ جَاهَدَ فِي سَبِيلِكَ، وَصَدَّقَ رَسُولَكَ، وَقَضَى الَّذِي عَلَيْهِ فَاقْبِضْ رُوحَهُ بِخَيْرِ مَا تَقْبِضُ فِيهِ أَرْوَاحَ الـخَلْقِ»، فَفَتَحَ سَعْدٌ عَيْنَيْهِ حِينَ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: السَّلامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ الله، أَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ، وَوَضَعَ رَسُولُ الله ﷺ رَأْسَ سَعْدٍ ﷺ مِنْ حِجْرِهِ، ثُمَّ قَامَ وَانْصَرَفَ وَلَمْ يَمُتْ بَعْدُ، وَرَجَعَ إِلَى مَنْزِلِهِ، فَمَكَثَ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ أَوْ أَكْثَرَ مِنْ سَاعَةٍ وَمَاتَ خِلافَهُ.

وَنَزَلَ جِبْرِيلُ عليه السلام حِينَ مَاتَ سَعْدٌ ﷺ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ مُعْتَجِرًا بِعِمَامَةٍ مِنْ إِسْتَبْرَقٍ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، مَنْ هَذَا الرَّجُلُ الصَّالِحُ الَّذِي مَاتَ فِيكُمْ؟ فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَاهْتَزَّ لَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ.

فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ لِجِبْرِيلَ عليه السلام: «عَهْدِي بِسَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ وَهُوَ يَمُوتُ».

ثُمَّ خَرَجَ فَزِعًا إِلَى خَيْمَةِ كُعَيْبَةَ يَجُرُّ ثَوْبَهُ مُسْرِعًا، فَوَجَدَ سَعْدًا قَدْ مَاتَ، وَأَقْبَلَتْ رِجَالٌ بَنِي عَبْدِ الأَشْهَلِ فَاحْتَمَلُوهُ إِلَى مَنْزِلِهِ.

قَالَ: فَخَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ فِي أَثَرِهِ فَيَنْقَطِعُ نَعْلُ أَحَدِهِمْ، فَلَمْ يُعَرِّجْ عَلَيْهَا، وَيَسْقُطُ رِدَاؤُهُ فَلَمْ يَلوِ عَلَيْهِ، وَمَا يُعَرِّجُ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ حَتَّى دَخَلُوا عَلَى سَعْدٍ ﷺ، قَالَ أَبُو عَبْدِ الله: وَقَدْ سَمِعْنَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ حَضَرَهُ حِينَ تُوُفِّيَ.

وَأَخْبَرَنِي مُعَاذُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي مُسْلِمٍ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: لَـمَّا انْفَجَرَتْ يَدُ سَعْدٍ ﷺ بِالدَّمِ قَامَ إِلَيْهِ رَسُولُ الله ﷺ فَاعْتَنَقَهُ وَالدَّمُ يَنْفَحُ فِي وَجْهِ رَسُولِ الله ﷺ وَلِحْيَتِهِ، لا يُرِيدُ أَحَدٌ أَنْ يَقِيَ رَسُولَ الله ﷺ الدَّمَ إِلَّا ازْدَادَ مِنْهُ رَسُولُ الله ﷺ قُرْبًا، حَتَّى قَضَى.

وَحَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ، عَنْ الحُصَيْنِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي سُفْيَانَ، عَنْ سَلَمَةَ بْنِ خَرِيشٍ ﷺ قَالَ: رَأَيْت رَسُولَ الله ﷺ وَنَحْنُ عَلَى البَابِ نُرِيدُ أَنْ نَدْخُلَ عَلَى أَثَرِهِ فَدَخَلَ رَسُولُ الله ﷺ وَمَا فِي البَيْتِ أَحَدٌ إِلَّا سَعْدٌ ﷺ مُسَجًّى، قَالَ: فَرَأَيْتُهُ يَتَخَطَّى، فَلَـمَّا رَأَيْتُهُ يَتَخَطَّى وَقَفْتُ، وَأَوْمَأَ إِلَيَّ قِفْ، فَوَقَفْتُ، وَرَدَدْتُ مَنْ وَرَائِي، وَجَلَسَ سَاعَةً ثُمَّ خَرَجَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله! مَا رَأَيْتُ أَحَدًا وَقَدْ رَأَيْتُكَ تَتَخَطَّى، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَا قَدَرْتُ عَلَى مَجْلِسٍ حَتَّى قَبَضَ لِي مَلَكٌ مِنَ المَلائِكَةِ أَحَدَ جَنَاحَيْهِ فَجَلَسْتُ».

وَرَسُولُ الله ﷺ يَقُولُ: «هَنِيئًا لَكَ أَبَا عَمْرٍو! هَنِيئًا لَكَ أَبَا عَمْرٍو».

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ، عَنْ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: فَانْتَهَى رَسُولُ الله ﷺ وَأُمُّ سَعْدٍ تَبْكِي وَتَقُولُ:

وَيْلُ أُمِّ سَعْدٍ سَعْدَا جَلادَةً وَحَدَّا

فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ ﷺ: مَهْلًا يَا أُمَّ سَعْدٍ لا تَذْكُرِي سَعْدًا.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «دَعْهَا يَا عُمَرُ، فَكُلُّ بَاكِيَةٍ مُكْثِرَةٌ إِلَّا أُمَّ سَعْدٍ، مَا قَالَتْ مِنْ خَيْرٍ فَلَمْ تَكْذِبْ».

وَأُمُّ سَعْدٍ كَبْشَةُ بِنْتُ عُبَيْدِ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ الأَبْجَرِ بْنِ عَوْفِ بْنِ الحَارِثِ بْنِ الخَزْرَجِ، وَأُخْتُهَا الفَارِعَةُ بِنْتُ عُبَيْدِ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ عُبَيْدٍ، وَهِيَ أُمُّ سَعْدِ بْنِ زُرَارَةَ.

قَالُوا: ثُمَّ أَمَرَ رَسُولُ الله ﷺ أَنْ يُغَسَّلَ، فَغَسَّلَهُ الحَارِثُ بْنُ أَوْسِ بْنِ مُعَاذٍ وَأُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ وَسَلَمَةُ بْنُ سَلامَةَ بْنِ وَقْشٍ يَصُبُّ المَاءَ، وَرَسُولُ الله ﷺ حَاضِرٌ، فَغُسِّلَ بِالمَاءِ الأُولَى، وَالثَّانِيَةَ بِالمَاءِ وَالسِّدْرِ، وَالثَّالِثَةَ بِالمَاءِ وَالكَافُورِ، ثُمَّ كُفِّنَ فِي ثَلاثَةِ أَثْوَابٍ صُحَارِيَّةٍ، وَأُدْرِجَ فِيهَا إِدْرَاجًا، وَأُتِيَ بِسَرِيرٍ كَانَ عِنْدَ آلِ سَبْطٍ يُحْمَلُ عَلَيْهِ المَوْتَى، فَوُضِعَ عَلَى السَّرِيرِ، فَرُئِيَ رَسُولُ الله ﷺ يَحْمِلُهُ بَيْنَ عَمُودَيْ سَرِيرِهِ حِينَ رُفِعَ مِنْ دَارِهِ إِلَى أَنْ خَرَجَ.

وَحَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ العَزِيزِ، عَنْ عَبْدِ الله بْنِ أَبِي بَكْرِ بْنِ حَزْمٍ، عَنْ يَحْيَى بْنِ عَبْدِ الله ابْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ عَمْرَةَ، عَنْ عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ: رَأَيْت رَسُولَ الله ﷺ يَمْشِي أَمَامَ جِنَازَةِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ ﷺ.

وَحَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ أَبِي زَيْدٍ، عَنْ رُبَيْحِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ حِينَ بَلَغَهُ مَوْتُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ ﷺ، فَخَرَجَ بِالنَّاسِ، فَلَمَّا بَرَزَ إِلَى البَقِيعِ قَالَ: «خُذُوا فِي جِهَازِ صَاحِبِكُمْ». [المغازي للواقدي ٢/ ٥٢٥-٥٢٨].

إِكْرَامُ سَعْدٍ ﷺ فِي مَوْتِهِ:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: لَمَّا حُمِلَتْ جَنَازَةُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ ﷺ قَالَ المُنَافِقُونَ: مَا أَخَفَّ جَنَازَتَهُ؛ وَذَلِكَ لِحُكْمِهِ فِي بَنِي قُرَيْظَةَ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: «إِنَّ المَلائِكَةَ كَانَتْ تَحْمِلُهُ».

[الترمذي في المناقب (٣٨٤٩)، قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ].

وعَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ قَالَ: لَمَّا أُصِيبَ أَكْحَلُ سَعْدٍ يَوْمَ الخَنْدَقِ فَثَقُلَ، حَوَّلُوهُ عِنْدَ امْرَأَةٍ يُقَالُ لَهَا رُفَيْدَةُ، وَكَانَتْ تُدَاوِي الجَرْحَى، فَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا مَرَّ بِهِ يَقُولُ: «كَيْفَ أَمْسَيْتَ؟»، وَإِذَا أَصْبَحَ قَالَ: «كَيْفَ أَصْبَحْتَ؟»، فَيُخْبِرُهُ، حَتَّى كَانَتِ اللَّيْلَةُ الَّتِي نَقَلَهُ قَوْمُهُ فِيهَا فَثَقُلَ، فَاحْتَمَلُوهُ إِلَى بَنِي عَبْدِ الأَشْهَلِ إِلَى مَنَازِلِهِمْ، وَجَاءَ رَسُولُ الله ﷺ كَمَا كَانَ يَسْأَلُ عَنْهُ، وَقَالُوا: قَدِ انْطَلَقُوا بِهِ، فخرج رَسُولُ الله ﷺ، وَخَرَجْنَا

مَعَهُ، فَأَسْرَعَ الْمَشْيَ حَتَّى تَقَطَّعَتْ شُسُوعُ نِعَالِنَا، وَسَقَطَتْ أُرْدِيَتُنَا عَنْ أَعْنَاقِنَا، فَشَكَا ذَلِكَ إِلَيْهِ أَصْحَابُهُ: يَا رَسُولَ الله أَتْعَبْتَنَا فِي الْمَشْيِ، فَقَالَ: «إِنِّي أَخَافُ أَنْ تَسْبِقَنَا الْمَلَائِكَةُ إِلَيْهِ، فَتَغْسِلُهُ كَمَا غَسَلَتْ حَنْظَلَةَ»، فَانْتَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى الْبَيْتِ وَهُوَ يُغْسَلُ، وَأُمُّهُ تَبْكِيهِ، وَهِيَ تَقُولُ: وَيْلُ أُمِّ سَعْدٍ سَعْدَا... حَزَامَةً وَجِدَّا

فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «كُلُّ نَائِحَةٍ تَكْذِبُ إِلا أُمَّ سَعْدٍ»، ثُمَّ خَرَجَ بِهِ، قَالَ: يَقُولُ لَهُ الْقَوْمُ، أَوْ مَنْ شَاءَ اللهُ مِنْهُمْ: يَا رَسُولَ الله مَا حَمَلْنَا مَيِّتًا أَخَفَّ عَلَيْنَا مِنْ سَعْدٍ، فَقَالَ: «مَا يَمْنَعُهُ مِنْ أَنْ يَخِفَّ عَلَيْكُمْ، وقد هبط من الملائكة كذا وكذا ـ قد سَمَّى عِدَّةً كَثِيرَةً لَمْ أَحْفَظْهَا ـ لَمْ يَهْبِطُوا قَطُّ قَبْلَ يَوْمِهِمْ، قَدْ حَمَلُوهُ مَعَكُمْ. [الطبقات الكبير تح عمر ٣/ ٣٩٥ رقم ٤٣٨٢، وقال الشيخ الصوياني: سنده حسن. الصحيح من أحاديث السيرة النبوية ص ٣٣٦].

وقال ابن سعد: أَخبَرنا مُحَمَّدُ بْنُ عُمَر، قالَ: حَدثَني سُلَيمانُ بن داوُدَ بن الحُصَينِ، عَن أَبِيهِ، عَن أَبِي سُفيانَ، عَنْ سَلَمَةَ بْنِ أَسْلَمَ بْنِ حَرِيشٍ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ وَنَحْنُ عَلَى الْبَابِ نُرِيدُ أَنْ نَدْخُلَ عَلَى أَثَرِهِ، فَدَخَلَ رَسُولُ الله ﷺ وَمَا فِي الْبَيْتِ أَحَدٌ إِلا سَعْدٌ ﷺ مُسَجًّى، قَالَ: فَرَأَيْتُهُ يَتَخَطَّى، فَلَمَّا رَأَيْتُهُ وَقَفْتُ، وَأَوْمَأَ إِلَيَّ: «قِفْ»، فَوَقَفْتُ وَرَدَدْتُ مَنْ وَرَائِي، وَجَلَسَ سَاعَةً ثُمَّ خَرَجَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله مَا رَأَيْتُ أَحَدًا، وَقَدْ رَأَيْتُكَ تتخطى، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَا قَدَرْتُ عَلَى مَجْلِسٍ حَتَّى قَبَضَ لِي مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ أَحَدَ جَنَاحَيْهِ فَجَلَسْتُ»، وَرَسُولُ الله ﷺ يَقُولُ: «هَنِيئًا لك يا أَبَا عَمْرٍو، هَنِيئًا لَكَ أَبَا عَمْرٍو، هَنِيئًا لك أبا عَمْرٍو».

أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ عَنْ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: فَانْتَهَى رَسُولُ الله ﷺ وَأُمُّ سَعْدٍ تَبْكِي، وَهِيَ تَقُولُ:

وَيْلُ أُمِّ سَعْدٍ سَعْدَا جَلادَةً وَجِدَّا

فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ: مَهْلًا يَا أُمَّ سَعْدٍ لا تَذْكُرِي سَعْدًا، فقال النبي ﷺ: «مَهْلًا يَا عُمَرُ، فَكُلُّ بَاكِيَةٍ مُكَذَّبَةٌ إِلا أُمَّ سَعْدٍ، مَا قَالَتْ مِنْ خَيْرٍ فَلَمْ تكذب». [الطبقات الكبرى تح عمر ٣/ ٣٩٦ رقم ٤٣٨٣، ٤٣٨٤].

وروى ابن أبي شيبة بسنده:... قَالَ عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ: لَمَّا نَامَ رَسُولُ الله ﷺ حِينَ أَمْسَى أَتَاهُ جِبْرِيلُ ـ أَوْ قَالَ مَلَكٌ ـ فَقَالَ: مَنْ رَجُلٌ مِنْ أُمَّتِكَ مَاتَ اللَّيْلَةَ، اسْتَبْشَرَ بِمَوْتِهِ أَهْلُ السَّمَاءِ، فَقَالَ: «لَا، إِلَّا أَنْ يَكُونَ سَعْدٌ، فَإِنَّهُ أَمْسَى دَنِفًا، مَا فَعَلَ سَعْدٌ؟»، قَالُوا: يَا رَسُولَ الله! قَدْ قُبِضَ، وَجَاءَهُ قَوْمٌ فَاحْتَمَلُوهُ إِلَى دَارِهِمْ، قَالَ: فَصَلَّى رَسُولُ الله ﷺ الفَجْرَ، ثُمَّ خَرَجَ وَخَرَجَ النَّاسُ، فَبَثَّ رَسُولُ الله ﷺ النَّاسَ مَشْيًا حَتَّى إِنَّ شُسُوعَ نِعَالِهِمْ لَتَقَطَّعُ مِنْ أَرْجُلِهِمْ، وَإِنَّ أَرْدِيَتَهُمْ لَتَسْقُطُ عَنْ عَوَاتِقِهِمْ، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ الله، بَثَثْتَ النَّاسَ؟ فَقَالَ: «إِنِّي أَخْشَى أَنْ تَسْبِقَنَا إِلَيْهِ الـمَلَائِكَةُ كَمَا سَبَقَتْنَا إِلَى حَنْظَلَةَ».

قَالَ مُحَمَّدٌ: فَأَخْبَرَنِي أَشْعَثُ بْنُ إِسْحَاقَ قَالَ: فَحَضَرَهُ رَسُولُ الله ﷺ وَهُوَ يُغَسَّلُ، قَالَ: فَقَبَضَ رَسُولُ الله ﷺ رُكْبَتَيْهِ، فَقَالَ: «دَخَلَ مَلَكٌ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ مَجْلِسٌ فَأَوْسَعْتُ لَهُ»، وَأُمُّهُ تَبْكِي وَهِيَ تَقُولُ:

وَيْلُ أُمِّ سَعْدٍ سَعْدًا بَرَاعَـةً وَجَـدًّا
بَعْدَ أَيَادٍ لَـهُ وَمَجْـدًا مُقَدَّمٌ سَدَّ بِهِ مَسَدًّا

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كُلُّ البَوَاكِي يَكْذِبْنَ إِلَّا أُمَّ سَعْدٍ».

قَالَ مُحَمَّدٌ: وَقَالَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِنَا: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَـمَّا خَرَجَ لِـجِنَازَتِهِ قَالَ نَاسٌ مِنَ الـمُنَافِقِينَ: مَا أَخَفَّ سَرِيرَ سَعْدٍ أَوْ جِنَازَةَ سَعْدٍ، قَالَ: فَحَدَّثَنِي سَعْدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ يَوْمَ مَاتَ سَعْدٌ: «لَقَدْ نَزَلَ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ شَهِدُوا جِنَازَةَ سَعْدٍ، مَا وَطِؤُوا الأَرْضَ قَبْلَ يَوْمَئِذٍ».

قَالَ مُحَمَّدٌ: فَسَمِعْتُ إِسْمَاعِيلَ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ سَعْدٍ ، وَدَخَلَ عَلَيْنَا الْفُسْطَاطَ وَنَحْنُ نَدْفِنُ وَاقِدَ بْنَ عَمْرِو بْنِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ ﷺ فَقَالَ: أَلَا أُحَدِّثُكُمْ بِمَا سَمِعْتُ أَشْيَاخَنَا؟ سَمِعْتُ أَشْيَاخَنَا يُحَدِّثُونَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ يَوْمَ مَاتَ سَعْدٌ ﷺ: «لَقَدْ نَزَلَ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ شَهِدُوا جِنَازَةَ سَعْدٍ مَا وَطِؤُوا الأَرْضَ قَبْلَ يَوْمَئِذٍ».

قَالَ مُحَمَّدٌ: فَأَخْبَرَنِي أَبِي، عَنْ عَائِشَةَ ﭫ قَالَتْ: «مَا كَانَ أَحَدٌ أَشَدَّ فَقْدًا عَلَى الـمُسْلِمِينَ، بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَصَاحِبَيْهِ أَوْ أَحَدِهِمَا مِنْ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ».

قَالَ مُحَمَّدٌ: وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الـمُنْكَدِرِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ شُرَحْبِيلَ : أَنَّ رَجُلًا أَخَذَ قَبْضَةً مِنْ تُرَابِ قَبْرِ سَعْدٍ يَوْمَئِذٍ فَفَتَحَهَا بَعْدُ فَإِذَا هُوَ مِسْكٌ!

قَالَ مُحَمَّدٌ: وَحَدَّثَنِي وَاقِدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ سَعْدٍ ـ قَالَ: وَكَانَ وَاقِدٌ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ وَأَطْوَلِهِمْ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: فَقَالَ لِي: مَنْ أَنْتَ؟ قُلْتُ: أَنَا وَاقِدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ، قَالَ: يَرْحَمُ اللهُ سَعْدًا! إِنَّكَ بِسَعْدٍ لَشَبِيهٌ، ثُمَّ قَالَ: يَرْحَمُ اللهُ سَعْدًا كَانَ مِنْ أَجْمَلِ النَّاسِ وَأَطْوَلِهِمْ، قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى أُكَيْدِرِ دُومَةَ فَبَعَثَ إِلَيْهِ بِجُبَّةِ دِيبَاجٍ مَنْسُوجٍ فِيهَا ذَهَبٌ، فَلَبِسَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَامَ عَلَى الـمِنْبَرِ، فَجَلَسَ فَلَمْ يَتَكَلَّمْ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَلْمِسُونَ الْجُبَّةَ وَيَتَعَجَّبُونَ مِنْهَا؟ فَقَالَ: «أَتَعْجَبُونَ مِنْهَا؟»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا رَأَيْنَا ثَوْبًا أَحْسَنَ مِنْهُ، قَالَ: «فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَـمَنَادِيلُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فِي الْجَنَّةِ أَحْسَنُ مِمَّا تَرَوْنَ». [المصنف لابن أبي شيبة ٢٠/ ٣٧١ -٣٧٦ في المغازي (٣٧٩٥٢)، وقال الشيخ عوامة: «هذا إسناد مرسل حسن من أجل محمد بن عمرو بن علقمة»].

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَلَـمَّا انْقَضَى شَأْنُ بَنِي قُرَيْظَةَ انْفَجَرَ بِسَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ ﷺ جُرْحُهُ فَمَاتَ مِنْهُ شَهِيدًا.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: حَدَّثَنِي مُعَاذُ بْنُ رِفَاعَةَ الزُّرَقِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي مَنْ شِئْتَ مِنْ رِجَالِ قَوْمِي: إِنَّ جِبْرِيلَ عليه السلام أَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ حِينَ قُبِضَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ ﷺ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ مُعْتَجِرًا بِعِمَامَةٍ مِنْ إِسْتَبْرَقٍ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، مَنْ هَذَا الْمَيِّتُ الَّذِي فُتِّحَتْ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَاهْتَزَّ لَهُ الْعَرْشُ؟ قَالَ: فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ سَرِيعًا يَجُرُّ ثَوْبَهُ إِلَى سَعْدٍ ﷺ، فَوَجَدَهُ قَدْ مَاتَ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، عَنْ عَمْرَةَ بِنْتِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَتْ: أَقْبَلَتْ عَائِشَةُ قَافِلَةً مِنْ مَكَّةَ، وَمَعَهَا أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ، فَلَقِيَهُ مَوْتُ امْرَأَةٍ لَهُ، فَحَزِنَ عَلَيْهَا بَعْضَ الْحُزْنِ، فَقَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ: **يَغْفِرُ اللهُ لَكَ يَا أَبَا يَحْيَى، أَتَحْزَنُ عَلَى امْرَأَةٍ، وَقَدْ أُصِبْتَ بِابْنِ عَمِّكَ، وَقَدْ اهْتَزَّ لَهُ الْعَرْشُ!**

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي مَنْ لَا أَتَّهِمُ عَنْ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ، قَالَ: كَانَ سَعْدٌ ﷺ رَجُلًا بَادِنًا، فَلَمَّا حَمَلَهُ النَّاسُ وَجَدُوا لَهُ خِفَّةً، فَقَالَ رِجَالٌ مِنْ الْمُنَافِقِينَ: وَاللهِ إِنْ كَانَ لَبَادِنًا، وَمَا حَمَلَنَا مِنْ جِنَازَةٍ أَخَفَّ مِنْهُ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «**إِنَّ لَهُ حَمَلَةً غَيْرَكُمْ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ اسْتَبْشَرَتْ الْمَلَائِكَةُ بِرُوحِ سَعْدٍ، وَاهْتَزَّ لَهُ الْعَرْشُ**».

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي مُعَاذُ بْنُ رِفَاعَةَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْجَمُوحِ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ﷺ قَالَ: لَمَّا دُفِنَ سَعْدٌ ﷺ وَنَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ سَبَّحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَسَبَّحَ النَّاسُ مَعَهُ، ثُمَّ كَبَّرَ فَكَبَّرَ النَّاسُ مَعَهُ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ مِمَّ سَبَّحْتَ؟ قَالَ: «**لَقَدْ تَضَايَقَ عَلَى هَذَا الْعَبْدِ الصَّالِحِ قَبْرُهُ، حَتَّى فَرَّجَهُ اللهُ عَنْهُ**».

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَمَجَازُ هَذَا الْحَدِيثِ قَوْلُ عَائِشَةَ ﷺ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ لِلْقَبْرِ لَضَمَّةً لَوْ كَانَ أَحَدٌ مِنْهَا نَاجِيًا لَكَانَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ**».

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَلِسَعْدٍ ﷺ يَقُولُ رَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ:

وَمَا اهْتَزَّ عَرْشُ اللهِ مِنْ مَوْتِ هَالِكٍ ... سَمِعْنَا بِهِ إِلَّا لِسَعْدِ أَبِي عَمْرِو

وَقَالَتْ أُمُّ سَعْدٍ حِينَ احْتُمِلَ نَعْشُهُ وَهِيَ تَبْكِيهِ ـ قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَهِيَ كُبَيْشَةُ بِنْتُ رَافِعِ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ عَبْدِ بْنِ الْأَبْجَرِ [1] وَهُوَ خُدْرَةُ بْنُ عَوْفِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ:

وَيْلُ أُمِّ سَعْدٍ سَعْدًا ... صَرَامَةً وَحَدًّا

وَسُؤْدَدًا وَمَجْدًا ... وَفَارِسًا مُعَدًّا

سُدَّ بِهِ مَسَدًّا ... يَقُدُّ هَامًا قَدًّا

يَقُولُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**كُلُّ نَائِحَةٍ تَكْذِبُ إِلَّا نَائِحَةَ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ**». [السيرة لابن هشام ٢/ ٢٥١-٢٥٢].

وروى البيهقي بسنده عَنِ ابْنِ عُمَرَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**هَذَا الَّذِي تَحَرَّكَ لَهُ الْعَرْشُ ـ يَعْنِي سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ ـ وَشَيَّعَ جِنَازَتَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، لَقَدْ ضُمَّ ضَمَّةً، ثُمَّ فُرِّجَ عَنْهُ**».

وعَنِ الْحَسَنِ قَالَ: «**اهْتَزَّ لَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ فَرَحًا بِرُوحِهِ**».

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ﷺ قَالَ: جَاءَ جِبْرِيلُ عليه السلام إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «**مَنْ هَذَا الْعَبْدُ الصَّالِحُ الَّذِي مَاتَ فَفُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَتَحَرَّكَ لَهُ الْعَرْشُ**؟ قَالَ: فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَإِذَا سَعْدُ بْنُ

(١) في الاستيعاب: «كبشة بنت رافع بن عبيد بن ثعلبة بن عبيد بن الأبجر».

مُعَاذٍ. قَالَ: فَجَلَسَ رَسُولُ الله ﷺ عَلَى قَبْرِهِ وَهُوَ يُدْفَنُ، فَبَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ إِذْ قَالَ: «**سُبْحَانَ الله**» مَرَّتَيْنِ، فَسَبَّحَ القَوْمُ، ثُمَّ قَالَ: «**اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ**»، فَكَبَّرَ القَوْمُ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**عَجِبْتُ لِهَذَا العَبْدِ الصَّالِحِ؛ شُدِّدَ عَلَيْهِ فِي قَبْرِهِ، حَتَّى كَانَ هَذَا حِينَ فُرِّجَ لَهُ**».

وعَنْ مُعَاذِ بْنِ رِفَاعَةَ بْنِ رَافِعٍ الزُّرَقِيِّ قَالَ: أَخْبَرَنِي مَنْ شِئْتُ مِنْ رِجَالِ قَوْمِي أَنَّ جِبْرِيلَ عليه السلام أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ مُعْتَجِرًا بِعِمَامَةٍ مِنْ إِسْتَبْرَقٍ فَقَالَ: «**يَا مُحَمَّدُ، مَنْ هَذَا المَيِّتُ الَّذِي فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ؟ وَاهْتَزَّ لَهُ العَرْشُ**؟ فَقَامَ رَسُولُ الله ﷺ يَجُرُّ ثَوْبَهُ مُبَادِرًا إِلَى سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ، فَوَجَدَهُ قَدْ قُبِضَ.

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله رضي الله عنهما قَالَ: لَمَّا وُضِعَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ رضي الله عنه فِي حُفْرَتِهِ، سَبَّحَ رَسُولُ الله ﷺ وَسَبَّحَ النَّاسُ مَعَهُ، ثُمَّ كَبَّرَ وَكَبَّرَ القَوْمُ مَعَهُ، قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، بِمَ سَبَّحْتَ؟ فَقَالَ: «**هَذَا العَبْدُ الصَّالِحُ، لَقَدْ تَضَايَقَ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى فَرَّجَهُ الله عَنْهُ**».

وعَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أُمَيَّةُ بْنُ عَبْدِ الله، أَنَّهُ سَأَلَ بَعْضَ أَهْلِ سَعْدٍ: مَا بَلَغَكُمْ مِنْ قَوْلِ رَسُولِ الله ﷺ فِي هَذَا؟ فَقَالُوا: ذُكِرَ لَنَا أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ سُئِلَ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: «**كَانَ يُقَصِّرُ فِي بَعْضِ الطُّهُورِ مِنَ البَوْلِ**». [دلائل النبوة للبيهقي ٤/ ٢٨-٣٠].

وقَالَ الوَاقِدِيُّ: قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: وَكُنْتُ أَنَا مِمَّنْ حَفَرَ لَهُ قَبْرَهُ، وَكَانَ يَفُوحُ عَلَيْنَا المِسْكُ كُلَّمَا حَفَرْنَا قَبْرَهُ مِنْ تُرَابٍ، حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى اللَّحْدِ.

قَالَ رُبَيْحٌ: وَلَقَدْ أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ المُنْكَدِرِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ شُرَحْبِيلَ بْنِ حَسَنَةَ، قَالَ: أَخَذَ إِنْسَانٌ قَبْضَةً مِنْ قَبْرِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ رضي الله عنه فَذَهَبَ بِهَا، ثُمَّ نَظَرَ إِلَيْهَا بَعْدَ ذَلِكَ فَإِذَا هِيَ مِسْكٌ.

قَالُوا: ثُمَّ احْتُمِلَ، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ الله! إِنْ كُنْتَ لَتَقْطَعُنَا فِي ذَهَابِكَ إِلَى سَعْدٍ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**خَشِينَا أَنْ تَسْبِقَنَا المَلَائِكَةُ إِلَيْهِ كَمَا سَبَقَتْنَا إِلَى غُسْلِ حَنْظَلَةَ**».

وَقَالُوا: يَا رَسُولَ الله كَانَ سَعْدٌ رَجُلًا جَسِيمًا، فَلَمْ نَرَ أَخَفَّ مِنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**رَأَيْتُ المَلَائِكَةَ تَحْمِلُهُ**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ الله إِنَّ المُنَافِقِينَ يَقُولُونَ: إِنَّمَا خَفَّ لِأَنَّهُ حَكَمَ فِي بَنِي قُرَيْظَةَ، قَالَ: «**كَذَبُوا، وَلَكِنَّهُ خَفَّ لِحَمْلِ المَلَائِكَةِ**».

فَكَانَ أَبُو سَعِيدٍ الخُدْرِيُّ رضي الله عنه يَقُولُ: طَلَعَ عَلَيْنَا رَسُولُ الله ﷺ وَقَدْ فَرَغْنَا مِنْ حُفْرَتِهِ وَوَضَعْنَا اللَّبِنَ وَالمَاءَ عِنْدَ القَبْرِ، وَحَفَرْنَا لَهُ عِنْدَ دَارِ عُقَيْلٍ اليَوْمَ، وَطَلَعَ رَسُولُ الله ﷺ عَلَيْنَا، فَوَضَعَهُ رَسُولُ الله ﷺ عِنْدَ قَبْرِهِ، ثُمَّ صَلَّى عَلَيْهِ، فَلَقَدْ رَأَيْتُ مِنَ النَّاسِ مَا مَلأَ البَقِيعَ.

قَالَ الوَاقِدِيُّ: حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ الحُصَيْنِ، عَنْ دَاوُدَ بْنِ الحُصَيْنِ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جَابِرٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: لَمَّا انْتَهَوْا إِلَى قَبْرِهِ نَزَلَ فِي قَبْرِهِ أَرْبَعَةُ نَفَرٍ: الحَارِثُ بْنُ أَوْسِ بْنِ مُعَاذٍ، وَأُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ، وَأَبُو نَائِلَةَ، وَسَلَمَةُ بْنُ سَلَامَةَ، وَرَسُولُ الله ﷺ وَاقِفٌ عَلَى قَدَمَيْهِ عَلَى قَبْرِهِ فَلَمَّا وُضِعَ فِي لَحْدِهِ تَغَيَّرَ وَجْهُ

رَسُولِ الله ﷺ وَسَبَّحَ ثَلاثًا، فَسَبَّحَ الْمُسْلِمُونَ ثَلاثًا حَتَّى ارْتَجَّ الْبَقِيعُ، ثُمَّ كَبَّرَ رَسُولُ الله ﷺ ثَلاثًا، وَكَبَّرَ أَصْحَابُهُ ثَلاثًا حَتَّى ارْتَجَّ الْبَقِيعُ بِتَكْبِيرِهِ.

فَسُئِلَ رَسُولُ الله ﷺ عَنْ ذَلِكَ، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ الله رَأَيْنَا لِوَجْهِكَ تَغَيُّرًا وَسَبَّحْت ثَلاثًا، قَالَ: «**تَضَايَقَ عَلَى صَاحِبِكُمْ قَبْرُهُ، وَضُمَّ ضَمَّةً لَوْ نَجَا مِنْهَا أَحَدٌ لَنَجَا مِنْهَا سَعْدٌ، ثُمَّ فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ**».

حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْحُصَيْنِ، عَنْ الْمِسْوَرِ بْنِ رِفَاعَةَ، قَالَ: جَاءَتْ أُمُّ سَعْدٍ ـ وَهِيَ كَبْشَةُ بِنْتُ عُبَيْدٍ ـ تَنْظُرُ إِلَى سَعْدٍ فِي اللَّحْدِ، فَرَدَّهَا النَّاسُ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**دَعُوهَا**»، فَأَقْبَلَتْ حَتَّى نَظَرَتْ إِلَيْهِ وَهُوَ فِي اللَّحْدِ قَبْلَ أَنْ يُبْنَى عَلَيْهِ اللَّبِنُ وَالتُّرَابُ، فَقَالَتْ: «**أَحْتَسِبُكَ عِنْدَ الله**»، وَعَزَّاهَا رَسُولُ الله ﷺ عَلَى قَبْرِهِ، وَجَلَسَ نَاحِيَةً، وَجَعَلَ الْمُسْلِمُونَ يَرُدُّونَ تُرَابَ الْقَبْرِ وَيُسَوُّونَهُ، وَتَنَحَّى رَسُولُ الله ﷺ فَجَلَسَ حَتَّى سُوِّيَ عَلَى قَبْرِهِ وَرُشَّ عَلَى قَبْرِهِ الْمَاءُ، ثُمَّ أَقْبَلَ فَوَقَفَ عَلَيْهِ فَدَعَا لَهُ ثُمَّ انْصَرَفَ. [المغازي للواقدي ٢/ ٥٢٨-٥٢٩].

وروى البخاري بسنده عَنْ جَابِرٍ ﷺ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**اهْتَزَّ الْعَرْشُ لِمَوْتِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ**».

فَقَالَ رَجُلٌ لِجَابِرٍ ﷺ: فَإِنَّ الْبَرَاءَ ﷺ يَقُولُ: اهْتَزَّ السَّرِيرُ، فَقَالَ: إِنَّهُ كَانَ بَيْنَ هَذَيْنِ الْحَيَّيْنِ ضَغَائِنُ، سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**اهْتَزَّ عَرْشُ الرَّحْمَنِ لِمَوْتِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ**».

[البخاري في المناقب (٣٨٠٣)، والمصنف لابن أبي شيبة ٢٠/ ٣٧٧ في المغازي (٣٧٩٥٦)].

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: «**لَقَدِ اهْتَزَّ الْعَرْشُ لِحُبِّ لِقَاءِ الله سَعْدًا**»، قَالَ: وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ، قَالَ: تَفَسَّخَتْ أَعْوَادُهُ، قَالَ: دَخَلَ رَسُولُ الله ﷺ قَبْرَهُ فَاحْتَبَسَ، فَلَمَّا خَرَجَ قَالُوا: يَا رَسُولَ الله! مَا حَبَسَكَ؟ قَالَ: «**ضُمَّ سَعْدٌ فِي الْقَبْرِ ضَمَّةً، فَدَعَوْتُ اللهَ أَنْ يَكْشِفَ عَنْهُ**».

[المصنف لابن أبي شيبة ٢٠/ ٣٧٦ في المغازي (٣٧٩٥٥)، ١٧/ ٢٤٠ رقم ٣٢٩٨٢، وقال الشيخ عوامة: «رواه من طريق المصنف الحاكم ٣/ ٢٠٦ وصححه، ووافقه الذهبي، ورواه الطبراني والنسائي...»].

وعَنِ امْرَأَةٍ مِنَ الأَنْصَارِ يُقَالُ لَهَا: أَسْمَاءُ بِنْتُ يَزِيدَ بْنِ السَّكَنِ رضي الله عنها قَالَتْ: لَمَّا خُرِجَ بِجِنَازَةِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ صَاحَتْ أُمُّهُ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ لِأُمِّ سَعْدٍ: «**أَلَا يَرْقَأُ دَمْعَكِ، وَيُذْهَبُ حُزْنَكِ، أَنَّ ابْنَكِ أَوَّلُ مَنْ ضَحِكَ اللهُ لَهُ وَاهْتَزَّ لَهُ الْعَرْشُ**».

[المصنف لابن أبي شيبة ٢٠/ ٣٧٧ في المغازي (٣٧٩٥٧)، ١٧/ ٢٤١ رقم ٣٢٩٨٤، و١٩/ ٥٧٦ رقم ٣٧٠٩٧، وقال الشيخ عوامة: «رواه ابن أبي عاصم في السنة (٥٥٩)، والحاكم ٣/ ٢٠٦ وصححه، ووافقه الذهبي،، ورواه الطبراني...»].

وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: قَدِمْنَا مِنْ حَجٍّ أَوْ عُمْرَةٍ، فَتُلُقِّينَا بِذِي الْحُلَيْفَةِ، وَكَانَ غِلْمَانُ الأَنْصَارِ يَتَلَقَّوْنَ أَهَالِيَهُمْ، فَلَقُوا أُسَيْدَ بْنَ حُضَيْرٍ فَنَعَوْا لَهُ امْرَأَتَهُ فَتَقَنَّعَ، فَجَعَلَ يَبْكِي، فَقُلْتُ: «**غَفَرَ اللهُ لَكَ! أَنْتَ صَاحِبُ رَسُولِ الله ﷺ، وَلَكَ مِنَ السَّابِقَةِ وَالْقِدَمِ مَا لَكَ، وَأَنْتَ تَبْكِي عَلَى امْرَأَةٍ**»، قَالَتْ: فَكَشَفَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: «**صَدَقْتِ، لَعَمْرِي لَيَحُقَّنَّ أَلَّا أَبْكِيَ عَلَى أَحَدٍ بَعْدَ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ**»، وَقَدْ قَالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ مَا قَالَ: قُلْتُ: وَمَا قَالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ؟ قَالَ: «**لَقَدِ اهْتَزَّ الْعَرْشُ لِوَفَاةِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ**»، قَالَتْ: هُوَ يَسِيرُ بَيْنِي

وَبَيْنَ رَسُولِ الله ﷺ». [المصنف لابن أبي شيبة ٢٠/ ٣٧٧-٣٧٨ في المغازي (٣٧٩٥٨)، وقال الشيخ عوامة: «رواه ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (١٩٢٩)، والحاكم، وابن حبان، والطبراني...»].

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**اهْتَزَّ العَرْشُ لِـمَوْتِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ**». [المصنف لابن أبي شيبة ٢٠/ ٣٧٨ في المغازي (٣٧٩٥٩)].

وعَنْ حُذَيْفَةَ ﷺ قَالَ: لَـمَّا مَاتَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ ﷺ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**اهْتَزَّ العَرْشُ لِرُوحِ سَعْدِ ابْنِ مُعَاذٍ**». [المصنف لابن أبي شيبة ٢٠/ ٣٧٨ في المغازي (٣٧٩٦٠)].

قال السهيلي: «وَحَدِيثُ اهْتِزَازِ العَرْشِ ثَابِتٌ مِنْ وُجُوهٍ، وَفِي بَعْضِ أَلْفَاظِهِ: أَنَّ جِبْرِيلَ عليه السلام نَزَلَ حِينَ مَاتَ سَعْدٌ مُعْتَجِرًا بِعِمَامَةٍ مِنْ إِسْتَبْرَقٍ فَقَالَ: **يَا مُحَمَّدُ! مَنْ هَذَا المَيِّتُ الَّذِي فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَاهْتَزَّ لَهُ العَرْشُ؟**، وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ قَالَ عليه السلام: «**لَقَدْ نَزَلَ لِمَوْتِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ مَا وَطِؤُوا الأَرْضَ قَبْلَهَا**»، وَيُذْكَرُ أَنَّ قَبْرَهُ وُجِدَ مِنْهُ رَائِحَةُ المِسْكِ، وَقَالَ ﷺ: «**لَوْ نَجَا أَحَدٌ مِنْ ضَغْطَةِ القَبْرِ لَنَجَا مِنْهَا سَعْد**»، وَفِي كِتَابِ الدَّلَائِلِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ جَلَسَ عَلَى قَبْرِ سَعْدٍ ﷺ حِينَ وُضِعَ فِيهِ، فَقَالَ: «**سُبْحَانَ الله! لِهَذَا العَبْدِ الصَّالِحِ ضُمَّ فِي قَبْرِهِ ضَمَّةً ثُمَّ فُرِّجَ عَنْهُ**»، وَأَمَّا ضَغْطَةُ القَبْرِ الَّتِي ذَكَرَ فِي الحَدِيثِ فَقَدْ رُوِيَ عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّهَا قَالَتْ: يَا رَسُولَ الله! مَا انْتَفَعْتُ بِشَيْءٍ مُنْذُ سَمِعْتُكَ تَذْكُرُ ضَغْطَةَ القَبْرِ وَضَمَّتَهُ [وَصَوْتَ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ]، فَقَالَ ﷺ: «**يَا عَائِشَةُ! إِنَّ ضَغْطَةَ القَبْرِ عَلَى المُؤْمِنِ ـ أَوْ قَالَ ضَمَّةُ القَبْرِ عَلَى الـمُؤْمِنِ ـ كَضَمَّةِ الأُمِّ الشَّفِيقَةِ يَدَيْهَا عَلَى رَأْسِ ابْنِهَا، يَشْكُو إِلَيْهَا الصُّدَاعَ، وَصَوْتُ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ كَالكُحْلِ فِي العَيْنِ، وَلَكِنْ يَا عَائِشَةُ وَيْلٌ لِلشَّاكِّينَ [فِي الله]، أُولَئِكَ الَّذِينَ يُضْغَطُونَ فِي قُبُورِهِمْ ضَغْطَ البَيْضِ عَلَى الصَّخْرِ**» ذَكَرَهُ أَبُو سَعِيدِ بْنُ الأَعْرَابِيِّ فِي كِتَابِ الْمُعْجَمِ. [الروض الأنف ٦/ ٣٢١-٣٢٣].

وعَنِ البَرَاءِ ﷺ قَالَ: أُهْدِيَ لِلنَّبِيِّ ﷺ ثَوْبُ حَرِيرٍ، فَجَعَلُوا يَتَعَجَّبُونَ مِنْ لِينِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَمَنَادِيلُ سَعْدٍ فِي الجَنَّةِ أَلْيَنُ مِمَّا تَرَوْنَ**». [المصنف لابن أبي شيبة ٢٠/ ٣٧٦ في المغازي (٣٧٩٥٣)، وقال الشيخ عوامة: «رواه أحمد والترمذي والبخاري...»].